

The Relationship of Textual Objection with Contributing Means to Achieve Textual Coherence

Shahad Yassir Thakir Al-Damook*,¹, Mahmood Khalaf Hamad Oubaid Al-Sabhani²

¹ Directorate of Sunni Endowment in Anbar, Department of Religious Education & Basic Studies, Ramadi, Iraq

² Department of Arabic, College of Arts, University of Anbar, Ramadi, Iraq

* shahad.yassir.thakir@gmail.com

KEYWORDS: Text Objection, Text Coherence, Referral, Substitution, Repetition.



<https://doi.org/10.51345/v33i4.611.g301>

ABSTRACT:

This research aims to study the relationship between the textual objection and its contingent structure or structure in the text or the general structure of speech, and the study of this objection deals with the tools that achieve textual harmony or cohesion represented by referral, deletion, linkage, replacement, and repetition by addressing a number of the noble Qur'anic verses in which it occurred. The textual objection and the semantic and syntactic effects that result from this objection.

علاقة الاعتراض النصي بالوسائل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي

شهد ياسر ذاكِر الداموك¹، أ.م.د. محمود خلف حمد عبيد السبهاوي²¹ ديوان الوقف السني، دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية، ثانوية أم الحسين، الرمادي، العراق² قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأنبار، الرمادي، العراق* shahad.yassir.thakir@gmail.com

الكلمات المفتاحية | الاعتراض النصي، التماسك النصي، الاحالة، الاستبدال، التكرار.

<https://doi.org/10.51345/v33i4.611.g301>

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين الاعتراض النصي بعده بنية أو تركيباً طارئاً بالنص أو البنية العامة للكلام، وتناول دراسة هذا الاعتراض بالأدوات التي تحقق الانسجام أو التماسك النصي المتمثلة بالإحالة والحذف والربط أو الوصل والاستبدال والتكرار عن طريق تناول عدد من الآيات القرآنية الكريمة التي وقع فيها الاعتراض النصي وما ينتج عن هذا الاعتراض من الآثار الدلالية والإعرابية.

المقدمة:

لا يخفى ونحن نقفُ على مشارف هذا المضمار ما بذلّه العلماء النحويون والبلاغيون والمفسّرون القدامى منهم والمعاصرون من اهتمام بالغ بالخطاب وكيفية انسجام أجزائه وتواصله وكشفوا لنا عن القواعد التي تفضي إلى تلاحم شتى عناصر البنية التركيبية للنص، ومما هو جدير بالذكر أن الاستقراء ينبئنا أنّ بحث النحويين في العلاقات والروابط التي تضفي على الخطاب طابع الترابط والاتساق ظل مقتصرًا في حدود الجملة إلّا قليلاً من الشذرات المتناثرة هنا وهناك التي رأت أنّ المعنى لا يُؤدى على وجه فعلي في إطار نموذج الجملة؛ إذ إنّ من النادر أنّ تفي الجملة الواحدة بالمعنى كاملاً، فلا بُدَّ إذا ما أردنا أن نتوصل إلى المعنى المراد من الخطاب أن ندرسَ العلاقات والروابط بين عدد من الجمل المتوالية (النص الكامل) وهو ما سنتناوله في بحثنا هذا⁽¹⁾.

وعلماء اللغة يقررون أن النص اللغوي إذا خلا من الأدوات التي تحكم انسجامه وتماسكه سواء كانت هذه الأدوات تشكّلية أو دلالية فإنه يصبح جملاً متراساً لا يربط بينها رابط، ويصبح النص إذا عددناه حينئذ نصّاً جسداً بلا روح⁽²⁾، ولهذا السبب بعينه نرى مقدار الاهتمام الكبير من النحويين واللسانيين

العرب والغربيين بالتماسك النصي وأشكاله وسبله والعلاقات المتكونة على صعيد البنية النصية، إنَّ مزيدَ نظرٍ في المدونات النحوية للدراسات النصية ينبئ عن تولّد العلاقة بين كلِّ من بنية النسيج التركيبي الطارئ (الاعتراض النصي) والبنية العامة للسياق الكلامي؛ إذ إنَّ المعنى الدقيق للألفاظ والتراكيب لا يمكن أن يُفهم بعيداً عن المعرفة الدقيقة لوظيفة كلِّ عنصر من عناصر النص الواردة في السياق، فلا يمكن للدارسين الفصلُ بين اللغة ووظائفها، ولذلك فإنَّ العناصر السطحية في البنية النصية تسهم بشكل مؤثر في تحقيق التماسك النصي، وتكاد تكون هذه العناصر هي الفصيل في الحكم على النصر اللغوي من حيث الانسجام وعدمه، ومن أهم هذه العناصر التي تربط أجزاء النص ورأى النحويون واللسانيون أنَّ لها علاقة وطيدة بمصطلح الاعتراض النصي ما يأتي:

أولاً: الإحالة:

من خلال الوقوف على ما سطره النحويون واللسانيون حول مصطلح الإحالة يتبين لنا أنَّ هناك علاقة وشيجة تربط بين الاعتراض النصي ومصطلح الإحالة؛ وذلك أنَّ الاعتراض يعدُّ قطعاً وتفكيكاً للبنية السطحية للنص إنَّ لم يؤدِّ إلى تحقيق التواصل المنشود بين العنصر المحيل والعنصر المُحال عليه من خلال ارتباطه بالبنية العامة للسياق، إنَّ هذا التماسك والتواصل لا يُستساغ إلّا من طريق عدد من العناصر الإحالية التي لا يخلو منها النصُّ اللغوي، فمن هذه العناصر: الضمير العائد، أو الاسم الإشارة، أو غيرها من العناصر التي تقوم بنسج شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص داخل حدود الجملة وما هو وراء الجملة⁽³⁾ خارج السياق كما في الإحالة الخارجية التي تحيل على عنصر خارج عن السياق الوارد فيه التركيب المحيل، فمن ذلك قوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ، يَنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ، بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ، لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ، إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (القيامة: 11-21) فإنَّ كلامه تعالى الواقع بين قوله: (ولو ألقى معاذيره) وبين (كلا بل تحبون العاجلة) اعتراض نصي أتى بأسلوب النهي الإنشائي، ثمَّ أرفده بأسلوب الحصر الخبري، ثمَّ تلاه بأسلوب الشرطي غير الجازم. وقد يرى بعض الدارسين لأول وهلة أنَّ هذا الاعتراض لا مناسبة بينه وبين ما سبقه وما تبعه من الكلام؛ وذلك لأنَّه قد فكَّك النص ومنع تلاحم أجزائه. ولكن بالعودة إلى ما سطرته أقلام النحويين، ولا سيما نحويو النص نرى أنَّ هذا الاعتراض قد أسهم إسهاماً بارزاً في تماسك النص، وذلك من خلال توافر عدد من الوسائل التي تسهم في شد أجزاء النص، فمن أهم الوسائل المتوفرة في الخطاب عنصر الإحالة؛ إذ إنَّ النص الكريم قد تحققت فيه عددٌ من

الإحالات النصية، فمن ذلك الضمير المخاطب المستقر في قوله: (لا تحرك) مرجعه إلى خارج النص، وكذا ضمير المخاطب (الكاف) في (لسانك)، وكذا الضمير المستتر في (لتعجل) وفي (فاتبع) العائد إلى النبي ﷺ، فهو من نوع الإحالة الخارجية، لأنه لا يوجد له مرجع في النص يدل عليه، وهو يعود على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهو غير مذكور لا قبلاً ولا بعداً في النص، وكذا مرجع الضمير الغائب (هاء) في (به) وفي (جمعه) و(قرآنه) و(قرآنه) و(بيانه)، فهو إحالة إلى خارج النص والمقصود منه (القرآن الكريم)، وهو غير مذكور في النص، وكذا ضمير المتكلم (نا) في قوله (علينا) و(قرآنه) إحالة إلى خارج النص قصد منها الله تعالى، أو الوحي جبريل (عليه السلام) في الكلمة الثانية فهو الذي أوحى إلى النبي ﷺ القرآن الكريم، إن هذه المراجع غير مذكورة في النص لا قبلاً ولا بعداً، غير أنها فهمت من سياق الكلام.

وعلى ما أسلفنا فإن هذه الإحالات تعبر عن الوظيفة الانتباهية التواصلية التي تضمن تواتر الاتصال بين المرسل والمتلقي من خلال عبارة (لا تحرك) وذلك عن طريق أسلوب الأمر المباشر الموجه للمخاطب ﷺ⁽⁴⁾، فهذه الإحالات جميعاً قد أسهمت في تلاحم النص؛ إذ لولا الإحالة لظلت الجمل المكونة لبناء النص مفككة بلا رابط⁽⁵⁾.

ولأجل كل ما سبق فإن بنية الاعتراض ولكونها كما أسلفنا بنية طارئة دخيلة على النص لا بد وأن تربطها عدد من الأدوات التي تسهم في إقامة جسور التواصل بينها وبين سائر أجزاء الجملة، وما هذه الأدوات إلّا جزء لا يتجزأ من الإحالة التي تتم على المستوى النحوي.

ثانياً: الحذف:

توجد بين وسيلتي الحذف والإحالة من جهة ومصطلح الاعتراض النصي من جهة أخرى علاقة مترابطة، ذلك أن التركيب المعترض في الخطاب لا بد أن يرتبط برابط لغرض من الأغراض الدلالية، غير أن هذا الرابط قد يحذف من السياق الآتي الذي ورد فيه لفظ الاعتراض الطارئ، وإنما يذكر في الكلام سابقاً للتركيب المعترض بعدد من الجمل والنصوص؛ كأن يأتي في بداية السورة من القرآن ويكون لفظ الاعتراض بعده بعدد من المواضع، وفي مثل هذه الحال لا بد أن تتدخل وسيلة الإحالة لتحيل التركيب المعترض على الرابط المحذوف من السياق المقترن بالاعتراض؛ كيما يستقيم نظم الكلام ويتجانس الخطاب ويتماسك، وقريب من الذي أشرنا إليه يحدد هاليداي ورقية حسن بأن الحذف ذو "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق. وهذا يعني أن الحذف عادة قبلية⁽⁶⁾، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحَجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (التحریم: 6-8)، فقد ورد في أثناء خطاب المؤمنين اعتراض نصي ألا وهو قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) وقد ورد هذا الاعتراض في الخطاب القرآني مفتتحاً بأسلوب النداء ثم النهي الإنشائيين، ثم أردف ذلك بأسلوب الحصر الخبري، والمقصود من هذا الاعتراض إنما هم الكافرون الذين نهى ربُّ العزة عن الاعتذار. إنَّ هذا الاعتراض أثار دون شك انتباه المتلقي وخلق في النص عنصر الإثارة، مما جعل المتلقي يغوص في غمار التفكير باحثاً عن سبب ولوج هذا التركيب الطارئ، كما تجعله يقف عليه متأملاً في الرابط الذي تعلق به بنية التركيب المعترض، فإذا ما ولجنا غمار النص فإننا سنجد الخطاب الذي سبق الاعتراض تحذيراً للمؤمنين من نار شديدة الهول عليها ملائكة العذاب الأشداء الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وكان الخطاب التالي للاعتراض موجهاً لنفس الجنس الذي وجه إليه الخطاب الأول ألا وهم معشر المؤمنين، بينما كانت جهة الخطاب المعترض الذي تغلغل البنية السردية للنص مختلفة إذ تحول فيه الخطاب الكافرين، وما لبث أن عاد ليكمل السرد الكلامي، فما الرابط بين هذه النصوص، إن من تمنع في النص المعترض سيحده متعلقاً برابط محذوف في الخطاب تقديره (أي يقال لهم)⁽⁷⁾، والقائلون هم الملائكة؛ أي ملائكة العذاب، فمن خلال هذا الرابط المحذوف تم التلاحم بين بنية التركيب المعترض وسائر أجزاء النص.

إن حذف الرابط الذي تعود عليه عددٌ من التراكيب والجمل يقع وراءه مقصد من المقاصد التي يروم المتكلم تحقيقها في الخطاب، كتحفيز ذهن المتلقي للتفكير في السبب الذي دفع لمثل هذا الحذف غير المتوقع، كما أن هذا الحذف يُنتج نوعاً من سرعة الإيقاع⁽⁸⁾، كما أنه يحقق الوظيفة الإفهامية التأثيرية للغة من خلال تحقيقه لعناصر المفاجأة والإمتاع والإثارة⁽⁹⁾.

ثالثاً: الربط أو الوصل:

تستوقفنا في هذا المضمار عددٌ من العلاقات والروابط التي تصل بين الجمل والعبارات المتداخلة والمستقلة التي تقع على صعيد المعلومات الواردة ضمن السياق النصي فتوظف لغرض الربط وإضفاء التواصل بين المتواليات السطحية، إنَّ هذا النوع من وسائل التماسك النصي يمثل التماسك الوظيفي بين أجزاء الخطاب كافة من خلال الربط بين التراكيب السابقة واللاحقة، ومما هو جدير بالذكر أنَّ هذا النوع من

وسائل التماسك النصي يتحقق بين التراكيب اللغوية من طريق عدد من الروابط والظواهر الإحالية، والمطابقة، والربط بالأداة، والربط بحروف المعاني...، إلى غير ذلك من الروابط والظواهر الأخرى التي يتم من خلالها الربط بين الجمل المستقلة في السياق النصي، فتحيل اللاحق على السابق والسابق على اللاحق⁽¹⁰⁾، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (القصص: 43-45)، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) وقع في الخطاب القرآني اعتراض نصي في أسلوب استداركي متوغلاً بنية الخطاب الموجه إلى النبي ﷺ، إذ إنه هذا التركيب الاعتراضي لا يتصل بما قبله؛ إذ إنه غير متسق من حيث المعنى، ولا يفهم إلا من خلال البحث عن تأويل وتقدير لمحدوف، والمحدوف مفعول فيه حذف في الخطاب اختصاراً، وكان تأويل الخطاب: "ولكننا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة فتطاول على آخرهم: وهو القرن الذي أنت فيهم العمر، أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم، فوجب إرسالك إليهم، فأرسلناك وكسبناك"⁽¹¹⁾، وبذلك تم الربط بين تركيب الأسلوب المستدرك الاعتراضي وسائر أجزاء النص، وهناك وجه آخر لتأويل الربط بين التركيب الاعتراضي وباقي أجزاء الخطاب، وهو أن تكون (لكن) في هذا المقام تفيد معنى الإضراب وحينئذ يكون التأويل (لم تكن بجانب الغربي بل كانت هنالك قروناً كثيرة بين موسى وبينك) والغاية منه حينئذ الترقى.

ومنه أيضاً الاعتراض بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: 189) الوارد في النص القرآني بأسلوب النفي، والمقصود منه نفي الحال كما أشار إلى ذلك محيي الدين الدرويش⁽¹²⁾. إن هذا الخطاب الاستطراذي قد توغل في سياق آيات الأحكام والتشريع بين قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: 189) وبين قوله: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: 196)، ومما يؤكد فرضية كون الخطاب الاستطراذي تركيب معترض أن العلاقة بين الاعتراض وسائر أجزاء النص في الظاهر غير واضحة؛ وذلك لأن الحرف الرابط (الواو) لم يكن مشتركاً في الحكم من حيث الظاهر، والحق أن التركيب المعترض قد تم الربط بينه وبين الخطاب الذي سبقه من طريق (الواو الاستثنائية) (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) التي أتت بها في هذا المقام من أجل الربط بين الكلام الذي لا يجمع بينه علاقة إعرابية واضحة، وإنما يجمع بين سائر أجزائه علاقة معنوية أو تسلسل فكري، ومما يؤكد ذلك أن هذه

الواو تربط بين سياقات وموضوعات مختلفة ترمي تحقيق غرض معنوي واحد⁽¹³⁾، ومعيار الحبك أحد المعايير النصية التي تحكم التماسك النصي يعتمد بالأصل على عدد من العلاقات الداخلية والعناصر المقامية المتعاقبة التي تساعد على فهم النص وتكامل انسجامه الداخلي، فمن ذلك العناصر المنطقية كعلاقات السببية والعموم والخصوص، ومنها التفاعل بين الأحداث والمواقف والمعلومات⁽¹⁴⁾، فالنص القرآني في هذه الآيات قد استعمل أساليب عدّة منها أسلوب النفي بـ(ليس) وما يثيره في النفس من الانتظار لضده وهو إثبات نوع البر، وقد عضّد هذا الإثبات عن طريق استعمال أسلوب الاستدراك بـ(لكنّ) وما يوحي بالنفس من مشاعر الارتياح إلى هذا البرّ، فضلاً عن استعمال أسلوب الأمر وما يعزز هذا الأسلوب من تقرير الأمر في نفوس المخاطبين ومن ثم تعليق كل هذا بترجي الحصول على الفلاح في نهاية الآية الكريمة.

رابعاً: الاستبدال:

من الوسائل التي لا تنفك عما نحن بصده وسيلة الاستبدال، إذ إنها تربط بين أجزاء النص وتقع على المستوى النحوي والمعجمي⁽¹⁵⁾، وهي تعطي تعويض أو إحلال عنصر لغوي في النص محل عنصر لغوي آخر⁽¹⁶⁾، إن حالات الاستبدال في النص غالباً ما تكون قبلية ولا تقع إلا داخل النص، ويشترط فيها أن يكون كل من عنصريها المستبدل والمستبدل منه مشتركين في البنية الوظيفية⁽¹⁷⁾، هذا وإن الباحثين اللغويين يذكرون للاستبدال أقساماً ثلاثة⁽¹⁸⁾، وهي:

- 1- الاستبدال الاسمي: وفيه يتم استبدال اسم بكلمة، مثل: آخر، وآخرون، وواحد، وواحدة.
- 2- الاستبدال الفعلي: وفيه يحل فعل محل فعل آخر متقدم عليه، ويمثله استخدام الفعل (بفعل).
- 3- الاستبدال القولي أو العياري: وفيه يتم استبدال عنصر لغوي داخل النص بعبارة (ذلك، لا)، بشرط أن يتضمن المستبدل معنى ومحتوى المستبدل به يصيغها المختلفة.

ومن الأمثلة على الاستبدال في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (هود: 4) فقد وقع الاستبدال الاسمي وذلك باستبدال (القادر) بكلمة (هو) داخل النص القرآني، والتقدير كما يقول الطاهر بن عاشور: "فَمَا ظَنُّكُمْ بِرُجُوعِكُمْ إِلَى الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقَدْ عَصَيْتُمْ أَمْرَهُ أَلَيْسَ يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا كَبِيرًا"⁽¹⁹⁾ ولا يخفى أن الاستبدال بين الاسم والضمير أفاد الترابط والتماسك في النص القرآني فالضمير ربط بين لفظ الجلالة (الله) الوارد في بدء الآية مع (قدير) الوارد في نهايتها.

خامساً: التكرار:

إنَّ عنصر التكرار من العناصر التي تدعم النص وتسهم في تحقيق التماسك بين شتى أجزائه، كما أنَّ اللسانيين يعدُّون التكرار أحد أشكال الاتساق المعجمي الذي يتطلب إعادة العنصر المعجمي نفسه، أو مرادفه، أو شبه مرادف له، إلى غير ذلك من العناصر التي تتكرر على صعيد البنية السطحية للسياق⁽²⁰⁾، ومما لا يخفى أنَّ التكرار يسهم في إضفاء التماسك على البنية النصية من طريق تحقيقها لعدد من الوظائف، كضمان الاستمرارية خشية نسيان المتلقي؛ وذلك يتمُّ من خلال إعادة الكلام بلفظه أو بمعناه؛ ولذلك فقد أطلق بعض الباحثين على التكرار تسمية الإحالة التكرارية⁽²¹⁾، إنَّ من الباحثين من ربط ربطاً دقيقاً بين المعنى المعجمي للتكرار وبين وظيفته النصية، فكما أنَّ من معاني التكرار (الرجوع، والبعث وتجديد الخلق بعد الفناء) فإنَّ المتكلم قد يذكر عدداً من الجمل المتتالية في المعنى، وبعد مدة من الخطاب يطولُّ الكلام فيكاد المتلقي على إثر ذلك ينسى ما قد قيل في أول الكلام، ومن ثمَّ يقوم المتكلم بتكرار بعض ما قاله أولاً ليذكر المتلقي ويبعث الحياة في الجملة من جديد، ويجدد العهد بها بعد أن كاد النسيان يعرض للمتلقي⁽²²⁾، ما يسهم في خلق بؤرة في التعبير يتمركز حولها السياق فمن أمثلة ذلك من الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا، وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا، وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا، فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء: 155-160)، فقد ورد في النص القرآني قوله تعالى {حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ} متعلق بقوله {فِيمَا نَقُضُهُمْ} وجواب له، وقد فصلَ بينهما التركيب المعارض بعدد طويل من الجمل، مما استدعى إعادة العامل ألا وهو قوله (فبظلم) إلخ الذي أتى في الخطاب بيان محمل لما سبقه من التفصيل في أنواع الظلم ليقوي ارتباط الكلام⁽²³⁾، وقد أتى المحل الإعرابي لهذا البيان المحمل بدل مطابق من جملة قوله {فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ}، وقد أتت جملة البدل بلفظ جامع للمبدل منه وما عطف عليه من الجمل وهي (نقضهم الميثاق، والكفر، وقتل الأنبياء، والمعاندة عن الحق، وقولهم البهتان على مريم، وادعائهم قتل عيسى) ولا ريب أنَّ كلَّ ذلك من الظلم⁽²⁴⁾. وعلى ذلك فإنَّ طول الفاصل هو الباعث لتكرار العمل الذي أتى مجملًا الكلام المفصل؛ وذلك خشية لتناسي الأول لطول العهد بين البدل والمبدل منه.

وختاماً فإن وسيلة التكرار تساعد المتلقي على فهم النص من خلال تأكيده بالعنصر الذي تكرر في السياق لغاية دلالية⁽²⁵⁾، وعلى ذلك فإن تغلغل الاعتراض النصي في نسيج النص يؤدي إلى الحاجة إلى الوظيفة التي يؤديها التكرار، ويزيد عليها بعدد من الوظائف والأغراض الدلالية التي يسهم في تحقيقها هذا الطارئ، فمن ذلك أن الاعتراض يسهم في ضمان تحقيق الاستمرارية السردية للخطاب من خلال تمرّكه في موقع لافت للنظر محققاً التواصل بين البنية الصغرى في النص (التركيب المعترض) والبنية الكبرى للسياق العام (الموضوع الأساسي).

النتائج:

بعد هذه المسيرة أو الرحلة توصل البحث الى اهم نتائج الدراسة:

1. لا يمكن فهم بنية الاعتراض النصي بوصفه بنية نصية طارئة بعيداً عن السياق العام للكلام إذ إنّ المعنى الدقيق للألفاظ والتراكيب لا يمكن أن يُفهم بعيداً عن المعرفة الدقيقة لوظيفة كل عنصر من عناصر النص الواردة في السياق.
2. هناك علاقة وشيجة تربط بين الاعتراض النصي ومصطلح الإحالة؛ وذلك أن الاعتراض يعدّ قطعاً وتفكيكاً للبنية السطحية للنص إن لم يؤدّ إلى تحقيق التواصل المنشود بين العنصر المحيل والعنصر المُحال عليه من خلال ارتباطه بالبنية العامة للسياق.
3. إنّ النص القرآني الكريم قد تحققت فيه عددٌ من الإحالات النصية بالضمير فمن ذلك الضمير المخاطب وكذا الضمير المستتر.
4. توجد علاقة مترابطة بين وسيلتي الحذف والإحالة من جهة ومصطلح الاعتراض النصي من جهة أخرى، ذلك أن التركيب المعترض في الخطاب لا بد أن يرتبط برابط لغرض من الأغراض الدلالية.
5. وقع في الخطاب القرآني اعتراض نصّي في أسلوب استدراكي متوغلاً بنية الخطاب الموجه، إذ إنّ هذا التركيب الاعتراضي لا يتصل بما قبله؛ إذ إنه غير متسق من حيث المعنى، ولا يفهم إلّا من خلال البحث عن تأويل وتقدير لمحدوف.
6. إن حالات الاستبدال في النص غالباً ما تكون قبلية ولا تقع إلا داخل النص، ويشترط فيها أن يكون كل من عنصريها المستبدل والمستبدل منه مشتركين في البنية الوظيفية.

7. وسيلة التكرار تساعد المتلقي على فهم النص من خلال تأكيده بالعنصر الذي تكرر في السياق لغاية دلالية، وعلى ذلك فإن تغلغل الاعتراض النصي في نسيج النص يؤدي إلى الحاجة إلى الوظيفة التي يؤديها التكرار.

المصادر:

1. إبراهيم محمد مفتاح. التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2015م.
2. أحمد عبد الراضي. المعايير النصية في القرآن الكريم، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010م.
3. أحمد عفيفي. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م.
4. تامر عبد الحميد. الإحالة في القرآن الكريم دراسة نصية لغوية، ط1، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.
5. خالد منيف، د. نوال بنت إبراهيم. أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد 8، 2012م، ص 24-25.
6. دي بوجراند، ترجمة: غلام حسن. النص والخطاب والإجراء، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.
7. سلاف مصطفى، إشراف الدكتور علي ناصر. أثر القصيدة في تركيب المعادل الموضوعي القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2016م.
8. سميرة قاسمي، إشراف: د. عبد القادر البار. الاستبدال في القرآن لكرهم، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة/ كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2014م.
9. صالح عبد العظيم الشاعر، ظاهرة الاستبدال في النحو العربي آفاق غير محدودة، شبكة الألوكة، 2016/1/4.
10. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، ط1، دار فباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
11. الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية النظرية رومان حاكسون، ط1، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007م.
12. عبد المحسن أحمد الطيباني، أثر الاستبدال الفعلي في تماسك النص القرآني: حوليات جامعة عين شمس، كلية الآداب، 2018م.
13. عزوز خثيم، إشراف: السعيد هادف، الانسجام في النص القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة 1، الجزائر كلية اللغة والأدب العربي والفنون قسم اللغة العربية وآدابها، 2017م، ص 11.
14. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
15. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، 1991م.
16. محمود الهاوشة، الانساق في تماسك النص، سورة يوسف مثلاً، ط1، دار الرقيم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.
17. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
18. محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ط4، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، ودار اليمامة، دمشق، بيروت، وار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1415هـ.
19. ميلود نزار، الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدماء والمحدثين، مجلة علوم إنسانية، ع 44، السنة 7، 2010.
20. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2009.
21. نعيمة سعدي، الربط حروفه ومعانيه من منظور اللسانيات الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، دورية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمة الخضرم الوادي، الجزائر، 2015/12، المجلد: 7، العدد: الثامن.

الهوامش:

- (1) ينظر: الانسجام في النص القرآني، أطروحة دكتوراه، عزوز خثيم، إشراف: السعيد هادف، جامعة باتنة 1، الجزائر كلية اللغة والأدب العربي والفنون قسم اللغة العربية وآدابها، 2017م، ص 11.
- (2) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية: ص 93.
- (3) ينظر: التماسك النصي للاستخدام الغوري في شعر الخنساء، ص: ٢٣، والإحالة في القرآن الكريم دراسة نصية لغوية، د. تامر عبد الحميد، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 377 – 382.
- (4) ينظر: أثر القصيدة في تركيب المعادل الموضوعي القرآني، ص: 56.
- (5) المعايير النصية في القرآن الكريم، ص: 136.
- (6) ينظر: التماسك النصي للاستخدام الغوري في شعر الخنساء، ص: ٢٣، والإحالة في القرآن الكريم دراسة نصية لغوية، د. تامر عبد الحميد، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ٢٠٠٨م، ص: 377 – 382.
- (7) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: 138/10.
- (8) ينظر: الاتساق في تماسك النص، سورة يوسف مثلاً، ص: 98 – 99.
- (9) ينظر: التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية النظرية رومان جاكسون، ص: 39 – 40.
- (10) ينظر نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: ١٢٨، والربط حروفه ومعانيه من منظور اللسانيات الحديثة، الدكتورة نعيمة سعدية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، دورية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمّاد الخضر الوادي، الجزائر، المجلد: ٧، العدد: الثامن، 2015/12م، ص 103.
- (11) الكشف عن حقائق غوامض الترتيل، 417/3.
- (12) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: 249/1.
- (13) ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، ص: 33 – 35.
- (14) ينظر: النص والخطاب والإجراء، ص: 103، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص: 295.
- (15) ينظر: أثر الاستبدال الفعلي في تماسك النص القرآني: د. عبد المحسن أحمد الطبطبائي، حوليات جامعة عين شمس، كلية الآداب، 2018م، ص 92.
- (16) ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معمجة، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط 1، 2009، ص: 83.
- (17) ينظر: ظاهرة الاستبدال في النحو العربي آفاق غير محدودة، د. صالح عبد العظيم الشاعر، شبكة الألوكة، 2016/1/4.
- (18) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 20، والاستبدال في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحثة: سميرة قاسمي، إشراف: د. عبد القادر البار، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة/ كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2014م، ص: 11 – 12.
- (19) التحرير والتنوير: 320/11.
- (20) لسانيات النص مدخل على انسجام الخطاب، ص: 21.
- (21) ينظر: الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدماء والمحدثين، ميلود نزار، ص 3.
- (22) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، 18/2.
- (23) ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، 152 – 153.
- (24) ينظر: التحرير والتنوير: 26/6.
- (25) ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معمجة تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد منيف، د. نوال بنت إبراهيم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد 8، 2012م، ص 24 – 25.